وصيغ الافعال واوزانها في اللغة العربية عامل من عوامل ثروة اللغة وقدرتها على الدلالة على فروق وظلال تضاف الى المعنى الاصلي ، دون زيادة في اللفظ ومع الاحتفاظ بطابع التركيز والدقة قال الثعالبي في الاكثر الاغلب (فعل) يكون بمعنى التكثير كقوله عز ذكره « وغلقت الابواب » وقوله ، يذبحون ابناءكم» و (فعل) يكون بمعنى (افعل) نحو خبر واخبر وكرم واكرم ونزل وانزل ويكون مضافا له نحو افرط اذا جاوز الحد وفرط اذا قصر قال الشاعر:

لا خير في الافراط والتفريط
كلاهما عندي من التخليط

وقلت في كتاب المبهج : اياك والافراط الممل ، والتفريط المخل .

و (افعل) يكون بمعنى فعل نحو اسقى وسقى وامحضه الود ومحضه ، وقد يتضادان نحو نشط العقدة اذا شدها وانشطها اذا حلها .

(وفاعل) يكون بين اثنين نحو : ضاربه وبارزه وخاصمه وحاربه وقاتله ويكون بمعنى فعل كقوله عز وجل ، قاتلهم الله اي قتلهم .

(وتفاعل) يكون بين اثنين وبين الجماعة نحو تجادلا وتناظرا وتحاكما ، ويكون من واحد نحو تراءى له ويكون بمعنى اظهر نحو : تغافل وتجاهل وتمارض وتساكر اذا اظهر غفلة وجهلا ومرضا وسكرا وليس بغافل ولا جاهل ولا مريض ولا سكران .

(وتفعل) يكون بمعنى فعل نحو تخلصه اذا خلصه كما قال الشاعر :

تخلصني من غفلة الغي منعما
وكنت زمانا في ضمان اساره

وكما قال عمرو بن كلثوم :

تهددنا واوعدنا رويدا
متى كنا لامك مقتوينا ؟

ويكون بمعنى التكلف نحو تشجع وتجلد وتحكم ويكون لاخذ الشيء نحو : تادب وتفقه وتعلم ويكون تفعل بمعنى: فعل نحو تعلم بمعنى اعلم كما قال القطامي :

تعلم ان بعض الشر خير
وان لهذه الغمم انقشاعا

(واستفعل) يكون بمعنى التكلف نحو استعظم اي تعظم واستكبر اي تكبر ويكون استفعل بمعنى الاستدعاء والطلب نحو استطعم واستسقى واستوهب ويكون بمعنى فعل نحو استقر اي قر ويكون بمعنى صار ، نحو استنوق الجمل واستنسر البغاث .

(وافتعل) يكون بمعنى فعل نحو اشتوى اي شوى واقتنى اي قنى اي كسب، ويكون لحدوث صفة نحو : افتقر وافتتن واما انفعل فهو فعل المطاوعة نحو : كسرته فانكسر وجبرته فانجبر وقلبته فانقلب قال ابن جني : « فاذا رايت العرب اصلحوا الفاظها ـ العربية ـ وحموا حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها وارهفوها فلا ترين ان العناية اذ ذاك انما هي بالالفاظ ؛ بل هي عندنا خدمة للمعاني وتنويه وتشريف ونظير ذلك اصلاح الوعاء وتحسينه وتركيته وتقديسه وانما المبغى بذلك منه الاحتياط لنموعى عليه وجواره بما يعطر بنشره ولا يعر جوهره كما قد تجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ويغض منه كدرة لفظه وسوء العبارة عنه .

وذلك ان العرب كما تعنى بالفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ احكامها بالشعر تارة وبالخطب اخرى وبالاسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها . فان **المعاني اقوى عندها واكرم عليها وافخم قدرا في نفوسها** فاول ذلك عنايتها بالفاظها فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقا الى اظهار اغراضها ومراميها اصلحوها ورتبوها وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك اوقع لها في السمع واذهب بها في الدلالة على القصد .

فكان العرب انما تحلي الفاظها وتدبجها وتشيها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها الى ادراك مطالبها وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يعتقد هذا في الفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصائد واشراكا للقلوب وسببا وسلما الى تحصيل المطلوب، عرف بذلك ان الالفاظ خدم للمعاني والمخدوم لا شك اشرف من الخادم والاخبار في التلطف بمذوبة الالفاظ الى قضاء الحوائج اكثر من ان يؤتى عليها او يجشم للحال تعب بها .

واعلم انه لما كانت **الالفاظ للمعاني ازمة وعليها ادلة واليها موصلة** ، وعلى المراد منها محصلة عنيت

العرب بها فأولتها صالحا من تثقيفها واصلاحها (1). وشيء ءاخر يجعل اللغة العربية اكثر مرونة في الواقع من غيرها . وهو انها اكثر **اللغات قبولا للاشتقاق . والاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة ان تؤدي معاني الحضارة** والاشتقاق في العربية يقوم بدور لا يستهان به في تنويع المعنى الاصلي وتلوينه اذ يكسبه خواص مختلفة بين طبع وتطبع ومبالغة وتعدية ومطاوعة ومشاركة ومبادلة مما لا يتيسر التعبير عنه في اللغات الآرية مثلا الا بالفاظ خاصة ذات معان مستقلة ، وصيغ الالفاظ العربية تفرق تفرقة واضحة بين الجواني والبراني وبين ما هو حركة في النفس وما هو حركة في الجوارح . العربية تفرق مثلا بين الكبر والتكبر والعلم والتعلم والفقه والتفقه .

وقد التفت المستشرق الفرنسي كرادوفو الى هذه الظاهرة فلم يسعه الا ان ينوه بها في كتابه عن الغزالي فقال « لقد ميز الغزالي بين الكبر الداخلي والكبر الخارجي . الداخلي هو استعداد في النفس والخارجي ناتج من افعال الجوارح واللفظ الفرنسي الذي يدل على معنى الكبر هو Orgueil اما التكبر فاولى ان يكون مرادفه الفرنسي Superbe .

ولاحظ كارا دوفو ايضا ان هذه **الفروق المعنوية الدقيقة التي تحملها الفاظ اللغة العربية** ليس من اليسور نقلها في لفظ واحد الى اللغات الاخرى . وخلص من هذه الملاحظة الى التنويه بما **تنطوي عليه العربية من قدرة ذاتية على التحليل الفلسفي العميق** ما دام ان احداث تغيير طفيف في بنية اللفظ العربي يسمح لتلك اللغة بأن تميز بين الحالة النفسية وبين العادة البدنية التي تطابقها . ولا نزاع في ان **منهج اللغة العربية الفريدة في الاشتقاق قد زودها بذخيرة من المعاني لا يسهل اداؤها في اللغات الاخرى في نطاق التركيب الجواني الذي هو شيمة الاسلوب العربي الاصيل** وقد لاحظ السيوطي هذه الزيادة في المعنى المشترك حين عرف الاشتقاق بانه « اخذ صيغة من اخرى مع اتفاقهما معنى ومادة وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى الاصل بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفا او هيئة .

وجلي : **ان هذه الطريقة في توليد الالفاظ بعضها من بعض تجعل من اللغة جسما حيا تتوالد اجزاؤه ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية واضحة ، وتغني عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التي كان لابد منها لو عدم الاشتقاق ، وان هذا الارتباط بين الفاظ العربية** الذي يقوم على ثبات عناصر مادية ظاهرة وهي الحروف او الاصوات الثلاثة . وثبات قدر من المعنى سواء كان ماديا ظاهرة او مختفيا مستترا . **خصيصة عظيمة من خصائص هذه اللغة** تشعر متعلمها بما بين الفاظها من صلات حية تسمح لنا بالقول بأن ارتباطها حيوي وان طريقتها حيوية توليدية وليست آلية جامدة .

قال الدكتور عثمان امين : واذا اردنا مثلا على ثروة العربية بهذا الضرب من الاشتقاق والتصريف فلننظر الى كلام رجل من المشتغلين بالعلوم الطبيعية. فهو يرى في كلمة مثل « صهر » اي اذاب الجسم بالنار انه يستفاد لتأدية هذا المعنى بكلمات دقيقة من حالات الجسم تخالف غيرها من الحالات فنقول انصهر واستصهر وتصاهر ومنصهر ومصهور ، وفي العربية منهجا ءاخر مخالفا للغات الاخرى فان العربية **تدل بالحركات على المعاني المختلفة** . من غير ان تكون تلك الحركات اثرا لمقطع او بقية من اداة فيكون ذلك في وسط الكلمة واولها وءاخرها فهم يفرقون بالحركة بين اسم الفاعل واسم المفعول في مثل مكرم ومكرم وبين فعل المعلوم وفعل المجهول نحو : كتب وكتب وبين الفعل والمصدر في مثل علم وعلم وبين الوصف والمصدر في مثل فرح وفرح وبين المفرد والجمع في مثل اسد واسد وبين الفعل والفعل في مثل قدم وقدم وبين الاسم والاسم في مثل : سحور وسحور .

2 ـ العربية وفلسفة الاعراب

اللغة العربية : من اللغات العريقة المنبت الواسعة الافق اتسعت فاحاطت بأبعد انطلاقات الفكر وارتفعت حتى صعدت ارقى اختلاجات النفس .

ولقد زادتها مرونتها تبلورا وتفاعلا ونماء وقدرة على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الذي تعيشه الانسانية في مسيرتها .

وكان لها عبر الزمن الاصالة الجاهدة المولدة المعطاءة . والميزات المطواعة المتطورة .

(1) الخصائص لابن جني الجزء الاول ص 225 ـ 228 . طبعة الهلال ـ مصر

وانك لتحس هذا في كلماتهـــا التـــي تمثـــل خطرات النفوس ونبضات القلوب وكل كلمـــة لها في الجملة مكان يحس بها المتكلم او تحس بها الكلمـــة نفسها .

ولهذا صارت ــ بفعل عوامل مختلفـــة ــ لغـــة حية بارزة ، ذات دلالة ووضوح ، وزادها متانة وابانة وافصاحا عن المعاني : الاعراب .

والعربية لغة تتوخى الايضاح والاصالة والاعراب احدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية : غاية الايضـــاح والافصاح عن صلات الكلمات العربية بعضها ببعـــض وعن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها .

وفي اللغات الخالية من الاعراب يعتمد اهـــل اللغة على القرائن وعلى اضافة كلمات الى الجملة لفهم المقصود من المعاني ولكن الاعتماد على القرائن ربمـــا لا يطرد ــ كما يقـــول صـــاحب الطـــراز ــ فاوجبت العربية التفريق بين الفاعل والمفعول والا وقع اللبس والابهـــام .

والاعراب : مصدر اعربت عن الشيء اذا اوضحت عنه . ويقال : فلان معرب عما في نفسه اي مبين له وموضح عنه ومنه : عربت الفرس تعريبا اذا بزغته . وذلك بأن تنسف اسفل حافره .

ومعناه : انه قد بان بذلك ما كان خفيا من امره لظهوره الى مرءاة العين بعد ما كان مستورا وبذلك تعرف حاله اصلب هو ام رخـــو واصحيـــح هـــو ام سقيم وغير ذلك .

واصل هذا كله قولهم : « العرب » وذلك لما يعزى اليه من الفصاحـــة والاعـــراب والبيان ومنه قولهم في الحديث « الثيب تعرب عن نفسها »

والمعرب صاحب الخيل العـــراب وعليه قـــول الشاعر :

ويصهل في مثل جوف الطـــوى
صهيـــلا تبيـــن للمعـــــرب

اي اذا سمع صاحب الخيل العراب صوته علم انه عربي ومنه : العروبة . والعروبة الجمعة وذلـــك ان يوم الجمعة اظهر امرا من بقية الاسبوع لما فيه من التاهب لها والتوجه اليها وقوة الاشعار بها قال الشاعر العربي القديم :

يوالم رهطا للعروبة صيمـــا

ولما كانت معاني السمين مختلفة كان الاعـــراب الدال عليها مختلفا ايضا . وكانه من قولهم : «عربت معدته» اي فسدت . كانها استحالت من حال الى حال ، كاستحالة الاعراب من صورة الى صورة.

الاعراب اذن مطلب العقل في اللغة ولذلك يرى بعض الباحثين والدراسين من علماء مقارنة اللغـــات ان **الاعراب ارقى ما وصلت اليه اللغات في الوضوح والابانة وهذه المرتبة قد بلغتها العربية الفصحى ، ولا يشاركها فيه من اللغـــات القديمـــة الا اليونانيـــة واللاتينية ، ولا يشاركها فيه من اللغات الحديثة الا الالمانية .**

اما اللغات الارية الحديثة ــ وتشمل معظم لغات اوربا الحديثة ــ فقد خلت من حالات الاعراب ولا مميز فيها بين الرفع والنصب والجر ، وانما يقوم مقامها الحاق ادوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر او بتقديم الالفاظ وتاخيرها مما لا يخرج عن الوضع الخارجي في المكان ، هذا في حين ان اللغة العربيـــة قد استلزمت من اول الامر ــ ما دام الاعراب مرعيا ــ وان يكون الفكر الواعي محددا للوضع الخارجي وان يكون النظر الى المعنى هو المبرر للتقديم والتاخير وتاكيد الاسناد ، وغيـــر ذلـــك الا تـــرى انـــك اذا سمعت : اكرم سعيد اباه ، وشكر سعيدا ابوه ، علمت برفع احدهما ونصب الاخر ، الفاعل من المفعول ولو كان الكلام نوعا واحدا لاستبهم احدهما من صاحبه .

فبالاعراب يعرف الخبر من الانشاء والمفعـــول من الفاعل وبه يتميز المضاف من المنعوت والمتعجب من الاستفهام والنعت من الحال الى غير ذلك .

وبالجملة : فتمير اغراض المتكلم عند السماع يكفي فيه الاعراب فالاعراب في مثل (ما احسن زيد) بفتح نون احسن وضم دال زيد كانت « ما » نافيـــة وانت تريد ان زيدا لم يحصل منه احسان .

واذا قلت (ما احسن زيدا) بفتح النون والدال كانت « ما » تعجبية وانت تريد ان شيئا عجيبا جعل زيدا حسنا .

واذا قلت (ما احسن زيد) بضم النون وكسر الدال ، كانت « ما » استفهامية وانت تريد معرفـــة اي شيء حسن في زيد علمه ام ادبه ام اخلاقه .. الخ ..